

ماذا يجري بين إيران وأذربيجان وما سبب التوتر الحدودي المفاجئ؟

انتهت الحقبة الاميركية في افغانستان بانسحاب فوضوي غير منظم بدا اقرب الى الهروب، وفي ظل حملة انتقادات لاذعة طاولت ادارة الرئيس جو بايدن بسبب سوء تصرفها واخطاء التقدير التي وقعت فيها استخباراتها وسياسيا



الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي.

ثمة وجه اخر لهذا الانسحاب، من اهدافه اشغال ايران بصراعات ومشاكل جانبية، وهذا ما بدأ يتحقق داخل افغانستان حيث تتطير شرارات الحرب الاهلية، والبدائية كانت مع تفجير مسجد للشيععة في قندور. وهذا ما بدأ يحصل في اذربيجان القريبة ايضا مع نشوب توتر حدودي مفاجئ تحركه عوامل عدة بينها اسرائيل.

التوتر بين ايران واذربيجان ترجم عمليا في مشهد المناورات والتدريبات العسكرية التي باشرت ايران على امتداد حدودها مع اذربيجان، عبر نشر قوات برية كبيرة تابعة للحرس الثوري الإيراني. هذه التحركات بدت ردا مباشرا على تدريبات عسكرية ثلاثية بين اذربيجان وتركيا وباكستان التي استضافتها باكو (عاصمة اذربيجان) تحت عنوان "الاشقاء الثلاثة 2021"، واعتبرتها ايران تخرق الاتفاقيات الدولية التي تحظر الوجود العسكري لدول من خارج الدول الخمس المطلة على بحر قزوين.

المناورات العسكرية ليست سوى شرارة للتوتر المتصاعد فجأة، والناسم عن جملة عوامل واسباب جيوسياسية من ضمن علاقة تاريخية صعبة بين البلدين. هذا التوتر كان نشأ على هامش الحرب التي دارت العام الماضي بين ارمينيا واذربيجان حول اقليم ناغورني كاراباخ، وانتهت الى هزيمة ارمينيا وخسارتها الاراضي التي استولت عليها في حرب 1990.

تتمتع اذربيجان (هويتها الدينية شيعية وجذورها القومية تركية) وايران بعلاقات تاريخية وثقافية عميقة، وتتشارك الدولتان في حدود تمتد لمسافة نحو 760 كيلومترا. تتنوع تقديرات اعداد الاذريين داخل ايران

في تفتيش ومراقبة اي شاحنة اجنبية تمر عبر اراضيها، فيما رفضت ايران تفتيش شاحناتها، وهنا انطلقت شرارة التوتر.

لكن المسألة ابعد من مسألة الشاحنات، ومرد استياء ايران الى اتفاق وقف اطلاق النار، وما ورد فيه من بنود جغرافية وسياسية واقتصادية، بدأت الاستعدادات لتنفيذها في هذه الايام.

ما حصل ان اذربيجان اخذت نصف كراباخ، واوقت النصف الثاني في يد الارمن، لكن تحت وصاية عسكرية روسية. وحتى يصل الارمن الى النصف المتبقي من كراباخ من ارض ارمينيا نفسها، لحظ الاتفاق اقامة ممر كان موجودا في الاساس، هو "ممر لاتشين" الواقع تحت اشراف القوات الروسية. لكن المشكلة الكبرى هي ان باكو ومعها انقرة حصلت، في المقابل، على "ممر زنجيزور" او ما يعرف باسم الممر التركي، الذي يبدأ من الاراضي التركية ويخترق الاراضي الارمينية في محاذاة الحدود الايرانية حوالي 30 كيلومترا، قبل ان يدخل الاراضي الاذربيجانية، وصولا الى باكو ومنها الى الحدود الروسية مع اذربيجان.

غير ان هذا الممر هو الذي يمثل التحول الرئيسي في جغرافيا جنوب القوقاز، لكون

تركيا هي الرباح الاكبر منه. فهو، للمرة الاولى على الاطلاق، يصل بينها وبين اذربيجان عبر طريق برية وخط سلك حديد، من دون المرور بالاراضي الايرانية. هنا مكمن الغضب الإيراني، اذ لم تعد الشاحنات التركية مضطرة الى المرور عبر الاراضي الايرانية للوصول بعدها الى اذربيجان او تركمانستان، مما يعني حرمان طهران من رسوم مرور غالبا ما تكون مرتفعة. الاخطر من ذلك، استشعار طهران خطر تحويل المنطقة الحدودية مع يريفان الى منطقة تركية بالقوة، تفصل لاحقا ايران عن ارمينيا. لكن الاهم من هذا وذاك، ان الممر المذكور يعمق نفوذ تركيا في جنوب القوقاز، ويقلص كثيرا من النفوذ الإيراني جغرافيا وسياسيا واقتصاديا.



التغيير الجيوسياسي في اقليم كاراباخ اطلق شرارة التوترات



ايران تعتبر اذربيجان قاعدة اسرائيلية متقدمة في القوقاز.

قد يكون سبب الغضب الإيراني المتصاعد ضد اذربيجان قطع طريق ايران الى اوروبا او الممر البري الواصل بين تركيا واذربيجان، لكن طهران ابرزت عاملا اخر هو تحول اذربيجان الى قاعدة اسرائيلية تهدد الامن القومي الإيراني.

العلاقات المميزة بين اذربيجان واسرائيل بدأت منذ تفكك الاتحاد السوفياتي، وانتهاج الاولى سياسة التحالف مع الغرب ومع تركيا، على حساب العلاقات مع روسيا وايران والدول الاخرى المعادية للغرب.

بعد اعلان اذربيجان استقلالها عام 1991، فرض الغرب بعض القيود على تسليحها، بفعل ضغوط اللوبي الارميني. من هنا، جاء توجه باكو الى تل ابيب لسد هذه الثغرة، وفي وقت كانت انقرة تنسج فيه علاقات قوية مع اسرائيل التي مدت اذربيجان بصواريخ "ستينغر" في حربها مع ارمينيا، مطلع التسعينات.

على ان ذروة التعاون العسكري بين باكو وتل ابيب كانت عام 1999، مع زيارة مساعد وزير الدفاع الاسرائيلي افرايم سنه لاذربيجان، وتوقيع اتفاق عسكري بين الجانبين. وبين عامي 2016 و2020، بلغت نسبة صادرات السلاح الاسرائيلي الى اذربيجان 17 في المئة. وشكلت حرب الايام الاربعة بين ارمينيا واذربيجان عام 2016، نقطة تحول في العلاقات الاذربيجانية - الاسرائيلية، تلتها زيارة رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو لباكو، حيث وقع اتفاقا لبيع السلاح بقيمة 5 مليارات دولار. في الوقت نفسه، كان لاسرائيل مراكز - قواعد استخبارية في معظم انحاء اذربيجان، هدفها التجسس على ايران. ولا شك في ان مثل هذا الخطر قد ازداد بعد انتصار باكو، العام الماضي، في حرب ناغورني كاراباخ بفضل الاسلحة الاسرائيلية والتركية.

الواقع ان منطقة جنوب القوقاز، التي كانت ذات يوم منطقة جيوسياسية معزولة، اصبحت الان اكثر ارتباطا بالشرق الاوسط وشمال افريقيا. وتؤثر الجهات الفاعلة في الشرق الاوسط بشكل متزايد على ما يحدث في اذربيجان وارمينيا.